

حرية العقل

أفسح الإسلام الطريق أمام العقل البشري لكي يفكر وينتج الخير للفرد وللبنية جمعاء، فأقر أنواعاً من الحريات تؤثر إيجابياً على العقل لبيدع وليقوم بوظيفته بالتفكير دون قيود، فأقر الإسلام حريات العقيدة والنفس البشرية المصانة وحرية الإعلام والحرية الاجتماعية والحرية السياسية.

لقد قام المستبدون من المستعمرين ووكلائهم في الوطن الإسلامي بكبح الحريات بكل ما يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، وذلك ليمنعوا العقول من أن تفكر وأن تبديع وأن تبادر للعمل. ومع كل كبح للحريات فقد استعمل كثير من المسلمين عقولهم، وساروا وكونوا القاعدة الصلبة التي تقوم عليها المسؤوليات وتدعو لحريات الإسلام كلها.

أما حرية العقيدة فقد أفسح القرآن للعقل البشري أن يفكر في الكون والحياة والإنسان ليكون مع العقيدة السامية واتصال بالله تعالى الذي خلق الكون والحياة والإنسان.

فآثار الوجدانية والحكمة والهداية والرحمة والحياة التي أثبتتها العلم الحديث تدل على الله الواحد الحكيم والهادي والرحيم والمحيي بنفس الوقت أثبتها القرآن بعلمه فاتفق القرآن والعلم الحديث على نتائج تفكير العقل البشري في الوصول إلى الله تعالى وقد ألفت لهذا كتاباً خاصاً ((إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى)) في دراسة مقارنة بين القرآن والعلم الحديث موجود على موقعي على النت.¹

إن القرآن الكريم حرر العقل البشري ليعقل ما حوله، ثم لينطلق للإبداع على أساس الإيمان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

هكذا يضعك القرآن أمام الكون والحياة والانسان دون خرافة ودون سابق إضلال لتخرج بعقيدة عن طريق عقلك بالله الواحد الأحد، أما الاعتقاد بأمور مسبقة وخرافات مقررة سلفاً وديكتاتوريات شرسة فإن ذلك يقف عائقاً أما العقل العلمي الذي يريد أن يفكر حراً طليقاً من كل قيود الخرافة والقرار المسبق:

عندما تأتي منظمات دينية لتعطيك فكرة أن الإله على صورة إنسان مسبقاً وتركز على ذلك كما في المسيحية واليهودية والفرق الباطنية ويأتي العلم فينفي ذلك تكون النتائج غير سليمة، لذلك لابد من التحرر من كل خرافة قبل النظر للكون والحياة والإنسان للوصول إلى الإله.

يقول الدكتور أوسكار لنديرج الأمريكي (١):

يرجع إنكار وجود الله في بعض الأحيان إلى ما تتبعه بعض الجماعات، أو المنظمات الإلحادية، أو الدولة من سياسة معينة ترمي إلى شيوع الإلحاد ومحاربة الإيمان بالله بسبب تعارض هذه العقيدة مع صالح هذه الجماعات أو مبادئها.

وحتى تتحرر عقول الناس من الخوف فليس من السهل أن تتحرر من التعصب للأهواء، ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله على صورة إنسان، بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض، وعندما تنمو العقول بعد ذلك، وتندرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تتسجم مع أسلوبهم في التفكير، أو مع أي منطق مقبول. وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق.

(١) عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية حاصل على الدكتوراه من جامعة جونز هولكنز-أستاذ فسيولوجيا الكيمياء بجامعة منيسوتا ومؤلف سلسلة كتب الدهون والليبيدات الأخرى-كتاب الله يتجلى في عصر العلم (ص٣٧).

بين تلك الأفكار الدينية القديمة- يقصد إله على صورة إنسان، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع وينبذون فكرة الله كلية. وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما يترتب عليها من نتائج نفسية، لا يحبون العودة إلى التفكير في هذه الموضوعات، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله^١.

أما في الإسلام فليس الجواب هو الانهزام أمام الخرافات إلى عدم الاعتقاد بإله واحد لا يشبه البشر، بل في عقيدة الاسلام لا يشبه الله أيّاً من مخلوقاته أبداً قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

فالمخلوق لا يمكن أن يكون خالقاً حتى ولو كان الإنسان أرقى المخلوقات، وهذا يؤيد حرية العقل البشري التي نادى بها الإسلام.

إن هذا الدكتور الأمريكي خرج بفكرة الانهزام، أما المسلمون الصادقون فإنهم لا يهزمون أما الخرافة أبداً، لذلك ارتفع عدد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ٨/ ملايين، وتقدم بل وفاق عدد اليهود فيها وهو ٥/ ملايين.

وإذا كان الإسلام يطلق قيد العقل البشري من كل خرافة ليفكر فيما ينفع الكون والحياة والإنسان فإن الإسلام كذلك يطلق العقل البشري من كل مادة تؤثر على تفكير، ومن هنا جاء تحريم الخمر والتدخين والمخدرات في الإسلام لما لهذه المواد من تأثير على العقل البشري في تأخر حسن أدائه وحسن انطلاقه.

ولابد لنا هنا من تبيان حرمة الخمر وما ألحق به من المخدرات والدخان فنقول:

عن ابن محيرز عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)) -حديث صحيح^٢.

^١ الله يتجلى في عصر العلم (ص ٣٧-٣٨).

^٢ أخرجه النسائي (٣١٢/٨) ورواه أبو داود (٣٦٨٨/٣٢٨/٣) وابن ماجه (٤٠٢٠/١٣٣٣/٢) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه وأخرجه الإمام أحمد (١٧٦٠٧/٢٣٧/٤) قال عبد القادر أرنؤوط عن الحديث: وهو حديث صحيح_ جامع الأصول (١١٧/٥).

ومعنى ((يسمونها بغير اسمها)) قاله في محل الذم فيدل على أن التسمية والحيلة لا تجعلان الحرام حلالاً والله تعالى أعلم^١.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر آية الخمر، فقال رجل: يا رسول الله، أرايت المرز؟ قال: ((وما المرز؟))

قال: هبة تصنع باليمن. قال ((تسكر)) قال نعم. قال: ((كل مسكر حرام)) وفي أخرى قال ((المسكر كثيرة وقليله حرام))، وفي أخرى أن رجلاً سأله عن الأشرطة؟ فقال: ((اجتنب كل مسكر يَنْش))^٢.

وفي أخرى قال ((المسكر كثيره وقليله حرام)) _ إسناده صحيح^٣.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما أسكر كثيرة فقليله حرام)) - رجال إسناده ثقات^٤.

وبهذا يكون الخمر محرماً بكل أنواعه مادام كثيره يسكر فالعلة السكر.

لم يحرم الله تعالى الخمر إلا لحكمة إلهية، فالخمر يؤثر على سائق السيارة إذا وصل لمرحلة السكر ولا يضمن الوصول إليه، تقول منظمة الصحة العالمية: تزيد القيادة تحت تأثير الكحول من مخاطر الحوادث واحتمال وفاة أو إصابة خطيرة من جرائها على حد سواء، ويلزم إقامة نقاط تفتيش للتحقق من عدم شرب السائقين.

ويلزم إخضاعهم لاختبار التنفس بشكل عشوائي وهذا من الأمور الكفيلة بتقليل الإصابات إلى ٢٠٪ من حوادث المرور المرتبطة بالكحول وهذا من الإجراءات عالية المردود^٥.

لكن الواقع لشرب الخمر خطر في العالم ومنها الولايات المتحدة الأمريكية فقد أظهرت الإحصائيات الرسمية في نهاية السبعينات ما يلي:

يتراوح عدد مدمني الخمر ما بين ٩٦-٩٧ مليون نسمة أي أكثر من نصف السكان ونصف حوادث سير السيارات التي مات بها ٥٥٥٠٠ شخص كان سببها الخمر. وتبلغ خسائر الاقتصاد الأمريكي بسبب الخمر ٤٣/ مليار دولار سنوياً. أما في ألمانيا فيتراوح عدد

^١ انظر السيوطي والسندي على سنن النسائي (٣١٣/٨)

^٢ ينش: إذا أخذ يغلي.

^٣ أخرجه النسائي (٣٠٠/٨) و(٣٢٤/٨) وإسناده صحيح جامع الأصول (٣١١٦/٩٤/٥).

^٤ رواه الترمذي (رقم ١٨٦٦) وأبو داود (رقم ٣٦٨١) باب النهي عن المسكر ورجال إسناده ثقات وحسنه الترمذي وقال: وفي الباب نفسه عن الصحابة سعد وعائشة وعبد الله بن عمرو وابن عمر وخوات بن جبير _ انظر جامع الأصول (٩١/٥) مع تعليق عبد القادر أرنووط.

^٥ موقع منظمة الصحة العالمية على النت.

المرضى المدمنين على الخمر ما بين ١,٢_١,٨ مليون نسمة وعدد ضحايا المشروبات الكحولية من الصغار الذين يتراوح أعمارهم بين ١٠_١٢ سنة لا يقل عن ١٠٠ ألف وتسببت الخمر في وقوع ٣٠٪ من حوادث الطرق في ألمانيا^١.

وتجارة المخدرات تقع تحت سيطرة المافيا العالمية التي تمكنت من استقطاب بعض كبار المسؤولين في كثير من الدول الغربية وتسخيرهم لحماية هذه التجارة^٢.

إن المشروبات الخمرية تؤدي في كثير من الأحيان إلى السكر وفقدان العقل وهنا مركز الخطر لأن العقل سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه كما يضر وفي حال السكر وضياع العقل يمكن القتل والسب الجارح وكافة أنواع الاعتداء على الفرد والمجتمع مما ينتج كل عداوة وبغضاء لذلك قال الله تعالى: ((إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فعل أنتم منتهون)).

وإذا كان الإسلام يحرم شرب الخمر وتعاطي التدخين فمن الأولى أن يحرم الإسلام المخدرات لما لها من تأثير واسع في الجريمة ونشر الأمراض وانتشار بين الناس بتجارتها ومن يسعنا المجال هنا إلا أن نقول إن المجتمعات الغربية التي تبيح الخمر وتسمح بتداولها لا بد أن تسير حتماً إلى طريق المخدرات وإدمانها ومن ثم الجرائم بعد هذه المخدرات فتشير الإحصائيات الأمنية في روسيا إلى أن أكثر من ٥٣/ ألف جريمة متعلقة بالمخدرات وقعت في عام ١٩٩٣ وحده، مقابل ٢٩ ألف جريمة عام ١٩٨٥ م^٣.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية بلغت نسبة المتعاطين للمخدرات في جامعة (لوس أنجلوس) ٥٢٪ وبعد عشر سنوات فقط جرى إحصاء مماثل بعد فترة فتبين أن ٦٠٪ من طلاب المدارس والمعاهد في لوس أنجلوس يتعاطون المخدرات مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً.

وعن طريق التحالف بين عصابات المافيا والمحافل الماسونية، استطاع بارونات المخدرات أن يعقدوا صفقات خيالية لتجارة الأسلحة والمخدرات.

١ النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي (ص ٤٠٧، ٤٠٥).
٢ النظام الدولي الجديد (ص ٤٠٩) عن كتاب من نافذة المخدرات (صفحة سلسلة: أفول شمس الحضارة الغربية) لمصطفى فوزي غزال (ص ٥٢_٥٣).
٣ الأهرام المصرية (١٩٩٤/٢/١٤) ص: ١.

وفي إحدى الجامعات في كاليفورنيا بلغت نسبة مدمني الخمر ((الماركوانا)) ٨٥٪ من الطلاب والمدارس بنسبة ٧٥٪^١.

أضرار الخمر (النبيذ والمشروبات الكحولية ككل):

١-الجرعة القليلة من الخمر تحدث شيئاً من الارتفاع في ضغط الدم، وكلما تضاعف الضغط يحدث هيجاناً يزيد من الضغط...

٢-الخمر تؤثر في غدد الجسم عموماً وتسبب الاضطراب لها وللقلب.

٣-تسبب الخمر احتقان الجهاز التناسلي.

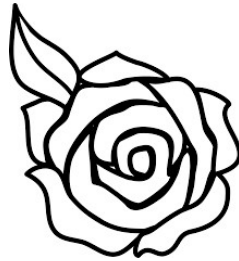
٤-وتسبب قرحة المعدة والاثنى عشر والتهابات الجهاز الهضمي.

٥-الإدمان على الكحول والخمر يصبح الإنسان أسير العادات السيئة مع عدم الاستجابة التامة للتخدير العام عند الحاجة إليه.

٦-الإدمان على الكحولية والخمر تسبب للكبد التهاباً وتمزيقاً لخلاياه وتجمعات للدهنيات، فيما يبقى منها ثم تحجراً مع تليف يصل بالكبد إلى مرحلة التشمع التي لا شفاء منها حيث ظهر من خلال الدراسات أن نسبة السرطان الكبدي في حالة تشمع الكبد مرتفعة جداً في الأشخاص الذين يتناولون المواد الكحولية.

٧-والمدمنون على الخمر تجدهم ساقطين اجتماعياً ونفسياً وصحياً.

٨-سميت الخمر بهذا الاسم لأنها تخمر العقل أي تسكره.



^١ النظام الدولي الجديد (ص ٤٠٩_٤١٠).

قال أحد الباحثين: إن الإنسان لم يصب بضربة أشد من ضربة الخمر، ولو عُمل إحصاء عام في مستشفيات العالم من المصابين بالجنون، والأمراض العضال بسبب الخمر، وعمن انتحر أو قتل غيره بسبب الخمر، وعمن يشكو في العالم من آلام عصبية، ومعديّة ومعوية بسبب الخمر، وعمن أورد نفسه موارد الإفلاس، وعمن تجرد من أملاكه بيعاً، أو غشاً بسبب الخمر.. لو عمل إحصاء بذلك، أو ببعضه لبلغ حدّاً هائلاً، نجد كل نصح بإزائه صغيراً.

فنصيحة دعك من شرب الخمر فهو يذهب العقل ويضر الجسم ويؤثر حتى على حياتك الاجتماعية وأسرتك.

وقال آخر: إحدى الدراسات الأسترالية أظهرت أنه حتى شرب الكحول باعتدال بما يساوي كأسين من الكحول يومياً يزيد من خطر الإصابة بسرطان الثدي والأمعاء والحلق والفم بنسبة كبيرة.

وقد أظهر دراسات حديثة ارتباطاً معتمداً بها بين الكحول والإيدز ووجدت إحدى الدراسات أن ٤١٪ من المرضى المصابين بفيروس (الأتش آي في) توفرت فيهم مواصفات الإدمان على الكحول في ٢٠٠١م تم نشر تقرير يدل على أن استهلاك الكحول بصورة مفرطة أدى إلى العديد من حالات الوفاة في الولايات المتحدة الأمريكية كما أن الكحول هي مادة من المحتمل أن تسبب الإدمان^١



^١ الشبكة المسيحية في ٦/٦/٢٠١٤م كتابات الداخلين على الشبكة عفواً حاولت تبين أضرار الخمر في غير مجتمع المسلمين لأن الدراسة تكون أدق وأشمل..... فأرجو المعذرة من الجميع.

القول الفصل في التدخين

قال الله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^١ والتدخين من الخبائث.

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((لا ضرر ولا ضرار)) -حديث حسن^٢

والضرر الصحي متحقق بالتدخين، فهو يوقع في أمراض السرطان وغيره، والقوة القلبية تنخفض أثناء التدخين، ويتضرر الجالس باستنشاقه، والمعروف عن الدخان تفتيره ممن لم يعتد شربه.

وقد ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر)) -حديث حسن^٣.

وله أضرار أخرى كثيرة

وقد فطن الشيخ القليوبي لهذه الأضرار من زمن بعيد فحرمه، وكان طبيبياً إلى كونه عالماً دينياً.

وقد التزمت خطة هي أني لا أقدم لضيبي شيئاً يدخنه وأعتذر بأنه سُمٌّ، ولا أحب أن أسمم ضيوفي، وقد يستأذني بعضهم في التدخين، فأنكر عليه الاستئذان.

وقد ناديت بتحريمه على المنبر من زمان بعيد^٤.

^١ سورة الأعراف آية ١٥٧.

^٢ عن يحيى المازني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا ضرر ولا ضرار)). أخرجه مالك في الموطأ (٧٤٥/٢) مرسلأ في الأفضية، ورواه ابن ماجه، ورواه الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري وقال الحاكم: صحيح الإسناد، قال النووي في (الأربعين) وله طرق يقوي بعضها بعضاً، وقد استدلت الإمام أحمد بهذا الحديث، ومجموع وجوه الحديث يقويه ويحسنه، وقد قبله جماهير أهل العلم واحتجوا به - انظر تعليق عبد القادر أرنووط الدمشقي في جامع الأصول (٦/٦٤٤-٦٤٥).

^٣ رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم ٢٦٦٣٤) وأبو داوود في سننه (رقم ٣٦٨٦) بسند صحيح عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها - ردود على أباطيل للشيخ محمد الحامد (ص ٦٤٣). ومما قال الشيخ عبد القادر أرنووط رحمه الله تعالى معلقاً على الحديث وقد حسنته الحافظ في الفتح. جامع الأصول (٩٣/٥).

^٤ الموضوع عن كتاب ردود على أباطيل للشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى عالم حماة والمتوفى سنة ١٩٦٨م.